الإسلام في بلاد المجر

الدكتور عبد الكريم محاسن

أيها السادة الكرام :

فاسمحوا لي أولاً أن أقدم عظيم شكري إلى رياسة المجمع العلمي العراقي وأعضائه الذين شرّفوني بانتخابهم إياي عضواً مراسلاً لهذا المجمع الموقر . وقد اخترت ان أحاضركم باللغة العربية الكريمة التي عشقتها من جرّاء حبي للاسلام وأقبلت على تعلمها من تلقاء نفسي ومن غير معلم ، تعلّمتها من الكتب حسبُ وأرجو أن تعذروني إن صدر عني لحن أو خطأ في التعبير — وإذا حاضرت الآن عن الاسلام في المجر أو في الروابط التي بين بلادي والعراق ، فالمجريون هم في الأصل شعب شرقي صميم حمل حضارة آسيا إلى قلب أوربا ، وقد كانوا دائماً مثار عطف وعناية الشعوب الشرقية وخاصة العالم الاسلامي .

سادتي الكرام : منذ بضعة أشهر مضت احتفل العالم بالذكرى السنوية للفيلسوف العربي العظيم الكندي الذي سلك طريق أرسطو وتتبعه بالدراسة من أجل كشف أسرار العقل الانساني وأسرار عمله الخفية ، وكذلك من أجل السعي في إيجاد ترابط بينها وبين بحث النفس المؤدي إلى الخلاص . وإن عباقرة العرب أناروا السبل المؤدية إلى العلوم تلكم السبيل التي ما زالت إلى الآن المشعل الذي يتوهج مضيئاً سبل الفكر . ولم يكن الاشعاع الديني

للاسلام الساطع من مكة المكرمة إلى حدود العالم عبر الصحاري والبقاع الخصيبة ، ومن دمشق وبغداد مدينة السلام خاصة غزواً بالسلاح وبالقوة بل كان قد امتد بوسيلة الانتشار الثقافي والحضاري التي جلبت ولا شك السعادة والرضا لهؤلاء الناس الذين آمنوا بالاسلام — وقد تغلغل الرحالون العرب في أثناء تطوافهم في أقصى الشمال ، دارسين عادات سكان تلك المناطق ، وتقاليدها رابطين هذه المناطق بالمراكز الاسلامية عن طريق سلسلة من الأسواق ، وكانت من أهم نتائج هذه الأعمال أن اعتنق الكثير من سكان تلك المناطق الاسلام ، وبذلك دخلوا في نطاق الشعوب المتمدنة وقد نقل الينا كثير من الرحالين أمثال ابن فضلان وابن حوقل والاصطخري في أثناء رحلاتهم إلى أعالي نهر الفولغا أن في مدينة بلغار يعيش أقوام على صيد الحيوانات وأنه لاحتكاكهم بالمسلمين أرسل أميرهم آلموش وفداً إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله (من أهل القرن العاشر الميلادي) طالباً إليه إرسال فقهاء يطلعون شعبه على تعاليم الاسلام ومنبئاً بعزمه هو وشعبه على اعتناق الاسلام . وقد شيدت المساجد الصغيرة في أنحاء بلاده ، وتداول الناس النقود الاسلامية . وكان قصر الأمير مزيناً بأنواع من الأقمشة الرومية الأصل التي أحضرها التجار العرب .

وفي حدود عام ٩٢١ م أصبحت مدينة بلغار الواقعة على الفولغا والمناطق التابعة لها أقصى الحدود الشمالية للحضارة الاسلامية . وفي القرن العاشر استقرت قبائل بلغار الفولغا في البالقان أقرّهم فيها الأباطرة البيزنطيون ، وفقدوا بسبب توطنهم في بيأة الاسلاف Slav لغتهم الأصلية التركية . واشتهروا بمهارتهم في الدباغة ، وخصوصاً دباغة نوع شهير من جلد البقر يدعى بجريا bogaria ، ويرجع أصله إلى روسيا ، وهو كلمة مشتقة من بلغاريا — وكان هؤلاء البلغار مشهورين بسك النقود وقد ضرب أمراؤهم ومنهم غالب ومؤمن ثلاثة أنواع من العملة لتستعمل في التجارة خلال العامين ٩٥٠ و ٩٧٦ — وعند ما ضرب السلاطين اليمانون وهم من الأتراك لأنفسهم العملات ، أصبحت هذه العملة هي المتداولة في المناطق

الشمالية لآسيا ـ وقد قلدها البلغار وذلك لقيمتها إلا أن نصوصها العربية كانت ذات أخطاء وأصبحت غير ممكنة القراءة .

سادتي :

اسمحوا لي بأن أعرّج بالحديث إلى البلغار الذين هاجروا نحو الجنوب وانشأوا مستقراً لهم في أوربا والبالقان Balkan وإلى شعب آخر كان مرتبطاً معهم بصلات قوية وهم المجر: Majar ظهر المجريون بين جبال أورال قوماً باسلين يعتمدون في معيشتهم على صيد الحيوان والسمك ويتكلمون بلغة هي مزيج من الفنلندية والأستونية Estonia ، وقد هجروا وطنهم الأصلي منذ ألفي عام تقريباً ، مولين وجوههم شطر الجنوب الشرقي فبعد أن اجتازوا قلب آسيا الغربية امتزجوا بالأتراك الجواشر Chuoastr والباشقير bashkir بالقرب من جنوب نهر الفولغا ، وضفاف بحر قزوين امتزاجاً دام خمسمائة عام ، فتلقى المجريون عنهم في الزراعة والحرب ، وعلق باللغة المجرية كثير من الألفاظ التركية القديمة خصوصاً مايتعلق بالزراعة وجرت بين الشعبين صلات رحم وقربى ، فتحول الشعب المجري من صيادي أسماك إلى رجال عسكريين يحاكون الأتراك في الكثير من مظاهرهم .

عاش المجريون قبائل راحلة كالبدو ، كل قبيلة لها زعيم تذعن لأمره وكانت هذه القبائل تتحد وتتألب عند نشوب الحروب ، لترد الأعداء عن البلاد ثم تعود إلى سابق معيشتها ومن الغريب أنه كثيراً ما انضمت قبائل أجنبية تركية وخزرية Khazar وقبرية Kabar إلى المجريين الأصليين وكذلك قوم من البلغار أيضاً .

وكانت نتيجة هذا الامتزاج بين المجريين والاجانب أن تولد جيل جديد وشعب جديد تأثر إلى حد بعيد بالثقافة الفارسية وفي لغتنا المجرية كثير من الالفاظ الفارسية المتعلقة بالصناعة أو بالافكار الدينية .

فقد كانت تلك الالفاظ نتيجة تبادل تجاري بيننا وبين بلاد العجم ، وهذا التبادل

كان منحصراً في الأسلحة والأقمشة والحلي حتى أنه من المُشاهد في أيامنا هذه أن الزينة والنقش وتطريز الملابس في القرى المجرية هي فارسية الأصول .

في نهاية القرن الثامن للميلاد شدّت هذه القبائل المجرية الممتزجة رحالها واتجهت شطر الغرب وهناك أقامت نحو قرن في جنوب روسيا المعروف اليوم باسم اوكرانيا Ukrania وفي هذه المنطقة هاجمتهم قبائل البجناق Pejnak وهزمتهم فانشطروا الى نصفين :

أحدهما وهو الاكبر اتجه صوب الغرب فاستقر في جبال قرپات Karpat ، اما الشطر الآخر وهو الاصغر فعاد إلى الشرق وقد اقتفت أثره بعض البعثات في خلال أجيال عدة بقصد الوقوف على آثاره ، ولكن هذه البعثات لم تعثر حتى اليوم على شيء .

أما الشعب المجري فقد وصل في عام ٨٩٦ م من جبال قرپات Karpat الى بانونيا Pannonia وهي المعروفة اليوم ببلاد المجر ، وهذا الشعب هو في الواقع نتيجة تمازج بين المجريين الأصليين والسلافيين Slav الذين كانوا يقطنون Pannonia قبلهم وفي لغتنا عدد غيرُ قليل من الكلمات السلافية Slav والشعب المجري القديم أعني القبائل شنت الغارة على الأراضي المجاورة لها بقصد نهبها والاستيلاء عليها ، حتى بلغ في غاراته المانيا Almania وايطاليا Italia والاندلس Andolus ، ولكي تدفع ألمانيا غارة الشعب المجري عن بلادها بدأت تمهد السبل للدخول في النصرانية ، وتحت تأثير القائد المجري اشتوان Istoan المقدس الذي نصب نفسه ملكا على البلاد وفيما بعد ذلك بدأ المجريون يدخلون في النصرانية أفواجاً ، وكان بين هذه القبائل المجرية التي نزحت من موطنها الاصلي واقامت على ضفاف الدانوب Danube ألوف من المسلمين وهم خليط شعوب متباينة كتتجار ومزارعين أعجام وبُلغار ، وقد ظلوا محافظين على شعائرهم الدينية واستوطنوا مناطق بالقرب من العاصمة بشت Pest وانتشروا في السهول الزراعية وأظهروا براعة في الشؤون التجارية والصناعية ، ولاتصالهم بالشرق الاسلامي اكتسبوا في فترة قصيرة مميزات اجتماعية واقتصادية ، وفي

لدوائر الحكومية .

وما كانت أوربا في ذلك الوقت تسمح باقامة الشعائر الدينية الاسلامية في ممالكها ، لذا حاولت ان تحمل هؤلاء المسلمين على تغيير دينهم واعتناق النصرانية وقد سنّت قوانين الصارمة في اضطهادهم ، مثال ذلك : إذا عاد التجار المدعوون بالاسماعيلية Ysmailia مرة ثانية إلى دينهم الأصلي بعد تعميدهم وختنوا اولادهم فانه يجب ابعادهم عن مقر سكنهم ونفيهم إلى قرى أخرى .

أما هؤلاء الذين يتوبون فانه يمكنهم البقاء في مكانهم . وبعد عشر سنوات اصدر الملك المجري كالمان Kalman كذلك قوانين صارمة في مضادة المسلمين المجر ومن نصها : إذا لاحظ شخص ما أنّ اسماعيلياً يصوم طبقاً لدينه ويأكل مثل معظمهم ويمتنع عن أكل الخنزير ويغتسل حسب طقوسهم أو يقوم بأي شيء ما طبقاً لعاداتهم فانه يجب على ذلك الشخص ان يقبض عليه ثم يؤخذ نصيب من ثروته . ويقول قانون آخر انه غير مسموح للاسماعيليين أن يزوجوا بناتهم من إسماعيليين وإنهم مجبرون على تزويجهن من نصارى . ولم يكن هذا وحده فان القانون كان ينص على أنه في حالة ما إذا دعا نصراني اسماعيلياً للطعام فانه يجب أن يقدم له لحم الخنزير ، لكي يجبره على كسر الواجبات الدينية وهذا القانون يُظهر لنا أن النصراني كان له اصدقاء اسماعيلية يدعوهم للطعام وأن الاسماعيلية كانوا يزوجون بناتهم من أبناء دينهم غير أن هذه القوانين التي أصدرها الملوك المجريون لم يجر تطبيقها .

ويطلق عادة على المسلمين في المجر اسم الاسماعيلية ، وقد جاء هذا الاسم من إسماعيل بن هاجر الذي نزح إلى جزيرة العرب . ولا يفهم من هذا أنهم من الشيعة الاسماعيلية ، كما يعتقد ناس من الكُتاب المجريين فهم من أهل السنة ، على مذهب أبي حنيفة . ومما يذكر ياقوت الرحالة العربي الثقافة الكبير أن في حلب عدداً من المسلمين المجريين وهم أعضاء بعثة رسمية

مكونة من أربعين مجرياً Majuri مسلمين لدراسة الفقه الحنفي تمهيداً لتعيين قضاة وأئمة منهم في بلاد المجر . وهذا الخبر المهم يدل على أهمية المسلمين في بلادنا ، وذكر ياقوت أيضاً أن مواطنهم في المجر تزيد على ثلاثين منطقة ، وتوضح أسماء الكثير من هذه المستقرات أن أصل سكانها من المسلمين . ففي المجرية نجد أن كلمة Böszörmény هي تحريف لكلمة : Muszülman . ومما يظن ولظني شيء مهم أن هذه الكلمة بصيغتها المحرّفة أطلقت على إحدى مناطق رومانيا Roumania وهي Bessavabia وقد نسب الفخار الوطني الروماني أصل هذه الكلمة إلى حمامهم الخرافي Bessavab أو Bussuvban التي تعني Mussulman وتدل على وجود المسلمين في تلك المناطق .

وحينما عجزت موارد الدولة المالية وأصبحت ترثى لها اضطرت الحكومة الى ان تضمّن الضرائب فريقاً من الناس في مقابل أن يجبوها بأنفسهم من المزارعين ، وكانت الناقلة الاسلامية هي الملتزمة بتحصيل الضرائب للحكومة بل أقرضت الحكومة عدة مبالغ في مقابل أن تحتكر هي سكّ النقود ، وبذا استطاع المسلمون المجريون تأسيس عدة دور لضرب المسكوكات . وقد ظلت هذه النقود تتداول بعد قرن من ضربها ، ويوجد منها عدد كبير في « المتحف الوطني » ببودابشت .

وهؤلاء المسلمون كانوا ذوي الثقافة العالية إلى جانب أنهم حملوا السلاح واعتدّوا أنفسهم من المحاربين الابطال . وفي عام ١١٦١ أرسل الملك المجري Gera الثاني خمسمائة سراسيني Saraceni يعني شرقيين وهم المسلمون لمساعدة الامبراطور فريدريك Frederik في حروبه .

وفي القرن الثالث عشر قاسى المسلمون المجريون شدائد ومصائب من طوفان التتار الذي غمر المجر ، وقد اختفوا من مسرح الأحداث كمجتمع ، غير أن ذكراهم ظهرت في اسم أسرة اسماعيلية من أصل اسلامي تدعى Szerecsény ازدهرت خلال القرن الرابع عشر ،

والكلمة Sacreseny هي اشتقاق من سراسين Saracen ، وقد ظهرت على الكثير من شعار الأسلحة على شكل رأس زنجي : وفي العصور الوسطى كانت لفظة سراسين تعني عامة مسلمي أسبانيا .

وبعد انتهاء القرون الوسطى بدأ فصل جديد في التاريخ وبعد أن استولى العثمانيون على مصر اتجه السلطان سليمان شطر بلاد المجر ، واستولى على جزء كبير منها وعلى عاصمتها بودا Buda او بودين Budin واتخذوها ثكنة عسكرية مهمة . وازدهرت الثقافة الاسلامية التركية في بلادنا في غضون قرن ونصف وشُيّدت مساجد فاخرة ومدارس علمية ، دُرست فيها الشريعة الاسلامية ، واعتنق عدد غير قليل من المجريين الاسلام الدين المبين ، ودخلت كلمات عديدة عثمانية في لغتنا واعتاد الناس الأطعمة الشرقية التي لا تزال تمثل دوراً مهماً في الطباخة المجرية، وكذلك الفن الموسيقي أثر في ألحان المجر وأسلوب التغني.

ولما كسرت شوكة العثمانيين ، وارتد الجيش الفاتح عن أسوار فينا Vianna نزحوا عن بودا ، ونزلوا عن قسم كبير من بلاد المجر فدخل فيما بعد في حوزة الجيش النمساوي Nemsawi . وقد اضطهد النمسويون الكاثوليك Chatholic المجريين لأنهم بروتستان Protestan فشبت ثورة المجريين على أسرة هابسبورغ Habysburg الحاكمة وأخذ القائدان Rákorir Thopóly على عواتقهما تحرير البلاد من نير النمسا . وفي خلال نشوب هذه الثورات مد الخليفة التركي يد المساعدة للمجريين ، ولما انتهت الثورة بخيبة المجريين لجأ قوادها الى الاستانة فوجدوا هنالك ترحيباً كبيراً بهم ، وظلوا معززين مكرمين الى أن ماتوا ودُفنوا في الأراضي الاسلامية . وكذلك لجأ قواد الثورة الكبرى في المجر في سنة ١٨٤٨ الى دار الخلافة فاستظلوا فيها بحماية الخليفة واعتنقوا الدين الاسلامي ، ودخلت

طائفة منهم في الجيش العثماني جنوداً واشتهروا ببسالتهم في حروب القريم .

والآن اسمحوا لي أن أقول عدة من الكلمات عن عاصمتها بودابست وقد اشتهرت في العالم الاسلامي بحماماتها الاسلامية والنظافة والطهارة ، وهي أهم ركن في الاسلام ، وقد ساعد انتشار الحمامات في بودا وجود ينابيع كبريتية شُيدت فوقها قباب على طراز عربي ، وقد استطاعت بودا أن تحتفظ في قلب أوربا النصرانية بقبر ولي مسلم هو گُلبابا ومعناه أبو الورد ، وكان گلبابا درويشا « بكتاشيا » يرافق الجيش الفاتح ، فلما مات في خلال الفتح في أثناء صلاته يوم الجمعة في المسجد الكبير ببودابست Budapest في سنة ١٥٤١ أمر السلطان بأن يشيد له ضريح فخم ، وبلغ من تقديسه لمكانة گلبابا أن حمل على كتفه نعشه . ولم يبق من آثار الحكم العثماني الا عدة مآذن في مدن الريف ، وذلك الضريح الموقر . وهذه النقطة تدفعني الى أن أتحدث قليلاً عن حالة المسلمين في بلادنا اليوم. إنه بعد الحربين الأولى والثانية غادرت جالية المسلمين واكثرهم من البوسنويين Bosnawin وعدد قليل من الأتراك ، غادرت البلاد وهجرتها الى البلاد التركية فلا مؤذن يرفع صوته ، ولا يوجد مسجد في أي بلد من البلدان . ولم يبق من المسلمين إلا عائلات من الفقراء . ولكن إن مضى مجد الأسلام المجسم في مؤمنيه فما مضت الثقافة الاسلامية أبداً ، والجامعة المجرية افتخرت بعلمائها مثل ارمين وامبري Vambriy الذي سافر الى تركية وأسلم ، وذهب باسمه رشيد افندي الى آسيا الوسطى لدراسة اللغات التركية وتلميذه ايغناتس غولدزيهر Goldsiher Ygnas الذي أصبح تلميذ الشيخ العالم محمد عبده بالقاهرة وبعد عودته الى بلادنا صنف كتباً نفيسة عدّة شرح بها أركان الدين الاسلامي والعقائد المكرمة ، وأنا أفتخر بكوني تلميذه ، أمثل دراسة التاريخ الاسلامي ، في كرسي التدريس بجامعة بودابشت ، وصنّفت آثاراً في تاريخ الاسلام المدني وفي الأدب العربي القديم والحديث ،

واشتهر كتابي عن حجي بيت الله في مكة المكرمة تحت عنوان : الله اكبر ، وترجم الى لغات شتى . وافتخر بكوني العضو المسلم الوحيد لمجلس النواب المجري ، وأمثل الدين الاسلامي لا على كرسي التدريس فقط بل بمجهوداتي الشخصية في الحياة الاجتماعية ، ولا أترك الوفاء بالواجب عليّ نحو مصلحة المسلمين والعروبة الى انتهاء أيامي .

سادتي الكرام :

اختم محاضرتي هذه بشكري الجزيل لصبركم وأتمنى للمجمع العلمي العراقي دوام النجاح في المستقبل كما كان في الماضي ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الكريم جرمانوس